موازنة بين شعر الشاعرات الأندلسيات من الحرائر والجواري دراسة وصفية تحليلية

أ . نجاة عمر الشاوش*/ جامعة الجفارة/ كلية التربية، الزهراء.

البريد الالكتروني:nagatshawesh511@gmig. Com

تاريخ الارسال 2025/5/5م تاريخ القبول 2025/9/2م

A Comparison between the Poetry of free and enslaved Andalusian Females Poets: A Descriptive and Analytical Study

Najat Omar Al-Shawish* - College of Education, University of Al-Jafara, Libya

Abstract

This research examines the comparative poetry of Andalusian female poets, both free and enslave women. Andalusian women had the greatest share of participation in literary and scholarly gatherings. This research aims to highlight its historical significance as a constituent of Andalusian Arab culture. I examined the differences between the poetry of free and slave female poets from several perspectives, namely: the differences in social classes, whether the society represented the poetry of free female poets or the poetry of slave female poets. The reason for choosing this research was to reveal the scholarly value of Andalusian women, specifically the class of female singers and songstresses.

The importance of my research also stems from a necessary attempt to clarify their status in Andalusian society, as they were prominent in all genres of poetry, especially erotic poetry and satire. I also traced the layers of each, revealing the cultural status of Andalusian women, which arose as a result of the religious, political, and social circumstances of that period. Cultural status reflects the image of the life of Andalusian women. I decided to divide this research into three axes, preceded by an introduction in which I outlined the research objectives, the reasons for its selection, its importance, and the methodology followed. A conclusion includes the most important findings I reached, the most important of which were:

-Andalusian women were prominent in the cultural, literary, and scientific fields, enabling them to be present in academic and literary gatherings, especially in the composition and narration of poetry.

-Andalusian women participated in most areas of life and competed with men in the cultural arena. This resulted in the scientific progress achieved by Andalusian civilization.
Keywords: comparison, poetry, female poets, free women, slave girls, Andalusian women

المُلخص:

تناول بحثي هذا دراسة موازنة بين شعر الشاعرات الأندلسيات من الحرائر والجواري، فكان للمرأة الأندلسية النصيب الأوفر في مشاركتها للمجالس الأدبية والعلمية، يهدف البحث إلى إبراز الأهمية لهذا الحضور في تكوين الثقافة العربية الأندلسية، إذ بحثتُ عن الاختلاف بين شعر الشاعرات الحرائر والجواري من عدة جوانب، أي: اختلاف طبقات المجتمع سواء أكان المجتمع عند شعر الشاعرات الحرائر، أم شعر الشاعرات الجواري، وكان سبب اختياري لهذا البحث هو الكشف عن القيمة العلمية التي كانت تتمتع بها المرأة الأندلسية، وأخص بالذكر طبقة القيان والمغنيات، كما ترجع أهمية بحثي إلى محاولة ضرورية لبيان مكانتها في المجتمع الأندلسي، إذ برزت في جميع أغراض الشعر، وخاصةً الغزل والهجاء، كما تتبعتُ طبقات كلا منهما، إذ اظهر البحث المكانة الثقافية للمرأة الأندلسية التي جاءت نتيجة الظروف في تلك الفترة من أوضاع دينية وسياسية واجتماعية، فإن المكانة الثقافية تعكس صورة لحياة المرأة الأندلسية.

ارتأيت تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تسبقها مقدمة ذكرتُ فيها أهداف البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، والمنهج المتبع فيه، ومذيل بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها، فكان أهمها:

ـ برزت المرأة الأندلسية في المجالات الثقافية، والأدبية، والعلمية، مما مكنها من الحضور في المجالس العلمية والأدبيّة، وخاصةً في نظم الشعر وروايته.

ـ شاركت المرأة الأندلسية في أكثر ميادين الحياة ونافست الرجل في المضمار الثقافي، وكان نتاج ذلك التقدم العلمي الذي بلغته الحضارة الأندلسية.

ـ الكلمات المفتاحية: الموازنة، الشعر، الشاعرات، الحرائر، الجواري، الأندلسيات.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه المستقيم.

حظيت المرأة الأندلسية بمكانة مرموقة في المجالس الأدبية والعلمية، سواء أكانت حرة أم جارية بوصفها صوتاً شعرياً مميزاً، فكان للأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية تأثيراً على الحياة العامة، وهذا ما دفعني إلى محاولة ضرورية لبيان مكانة المرأة الأندلسية، ودورها في المجتمع الأندلسي، وكان للانقسام السياسي وتحول الأندلس إلى مراكز متعددة عاملاً مهماً في انتقال العلماء والأدباء بين هذه المراكز، وهذا العامل انعكس بدوره على تأثير مكانة المرأة الثقافية، إذ شهدت المدن الأندلسية حضوراً كبيراً للمرأة في الكثير من المجالس العلمية والندوات الأدبية، كما تنقل بعضهن بين المدن الأندلسية طلباً للعلم، وتتبع أدوارها الثقافية والأدبية، فمن الموضوعات الأكثر جدلاً في الأدب الأندلسي، تظهر ثنائية الحرائر والجواري، وفي بحثي هذا تتبعتُ الفروق بين شعر الحرائر، وشعر الجواري، ولم تكن المرأة الأندلسية ذات حضور ثانوي، بل كان لحضور الجواري أكثر من الحرائر، فكن لهن الحرية في الحركة، والجواري هن الإماء المجيدات لفنون الأدب والشعر، كما كانوا أمهات الملوك والأمراء، ومنهن حرفيات، وأديبات، وشاعرات.

إن هدف هذا البحث هو التعرف على مشاركة المرأة الأندلسية في المجالسة العلمية والأدبية، والتي كانت إحدى السمات الثقافية للأندلس، وتتبع الأدوار الثقافية التي برزت من خلالها، ولا سيما وأن المكانة الثقافية تعكس صورة حياة المرأة الأندلسية في تعليمها وتأدبيها، سواء كان تعليمها عند أسرتها، أو خارج نطاق أسرتها، أي: تلقت تعليمها على يد بعض النساء اللاتي امتلكن قدراً من التعليم، وكان من عادة حكام الأندلس أن يعهدوا ببناتهن لمعلمات يتعهدنهن بالتعليم والتهذيب وقراءة الشعر وحفظه، كما كانت لهن رحلات علمية، تلقت من خلالها مختلف العلوم على يد كبار العلماء والشيوخ، وأظهرت الشواهد التاريخية تفاني المرأة من أجل العلم ورحلاتها في تقصي العلماء.

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث، فهو المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بتتبع الذي نالته المرأة الأندلسية سواء أكانت حرة أو جارية، ورصد التطورات التي مرت بها المرأة الأندلسية، إضافة إلى استخدام الموازنة بين الشاعرات الحرائر والجواري.

لم يحظ هذا البحث ـ على حد علمي المتواضع ـ بدراسة مستقلة تشمل الجوانب الموضوعية والفنية كافة، بيد أن هذا الموضوع نال مساحة لا بأس بها في مؤلفات اهتمت بشعر المرأة الأندلسية، يمكن أن نطلق على هذه المؤلفات الدراسات القريبة من الموضوع، أي: إنها تساعد على الإحاطة بهذا البحث في كثير من جوانبه.

وفي إطار الدراسات السابقة لم أكن أول من تناول شعر المرأة الأندلسية، فالذين كتبوا في هذا الحقل كثيرون، ومع هذا لم أقف على دراسة تناولت الشاعرات الحرائر والجواري الأندلسيات، الشيء الذي دفعني إلى دراسته، وهذه خلاصة للدراسات السابقة التي وقعت بين يديّ وأفادت الدراسة كثيراً.

ـ المرأة في الشعر الأندلسي خلال عصر الطوائف والمرابطين ، نجاة عمر الشاوش، جامعة طرابلس، 2010م، فكان الهدف من البحث هذا الوصول إلى معرفة ومكانة المراة في اشعار الأندلسيين، هل هي امرأة تحظى بالتقدير والاحترام أم كانت مذمومة من الجميع ؟ كيف أسهمت المرأة في نظم الشعر؟ وهل كان لها دور في الحياة الأدبية في مجال الشعر أم لا ؟.

ـ الرؤية الذاتية في شعر المرأة الاندلسية، فوزية عبدالله العقيلي ، جامعة السعودية، 2000م .

ـ شعر المرأة الأندلسية من الفتح حتى نهاية عهد الموحدين، واقدة يوسف كريم، جامعة العراق، 2003م .

ارتأيت تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تسبقها مقدمة، ومذيلة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها وختمتها بثبت لأهم المصار والمراجع.

شملت المقدمة التعريف بالموضوع، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع في البحث، وعرضاً لأهم الدراسات السابقة القريبة من الموضوع.

تناولتُ في المحور الأول: شعر الشاعرات الحرائر، أما المحور الثاني: فكان لشعر الشاعرات الجواري، وعقدتُ في المحور الثالث موازنة بين شعر الحرائر والجواري.

أما المصادر التي استقيت منها مادة البحث، فهي مصادر تاريخية، وأدبية مختلفة، ومراجع عربية، ومترجمة، ودوريات وما يندرج في إطارها من بحوث، ومقالات وغير ذلك.

المحور الأول ـ شعر الشاعرات الحرائر:

ازدانت البيئة الأندلسية بعددٍ غير قليل من الشاعرات الأندلسيات، اللواتي أسـهمن في إثـراء الحركة الأدبية، مقارنةً بشاعرات المشرق العربي، فكان عدد الشاعرات ((قليل إذا ما قيس بعدد الشاعرات في الأندلس، وقصائدهن محدودة الكم فضلاً عن خضوعهن إلى حد ما لتقاليد بعينها لم يستطعن أن يتعدينها في نطاق مجتمع المشرق العربي)) (1) ونـالت المرأة الأندلسية حرية تفوق الحرية التي حظيت بها

المرأة في الشرق الإسلامي، بل تمتعت بنفوذ سياسي (2) وكنَّ مثقفات يشاركن في الحياة الثقافية والأدبية بشكل فعّال.

وعرف عن النساء الأندلسيات رياستهن، وإباؤهن، فقد برز العديد منهن اللواتي كنَّ ذوات أثر محمود، قدمن نماذج مبهرة للمرأة المثقفة، والمبدعة في مختلف مجالات الحياة ، ففي الحياة الثقافية كانت لهن مساحة فاعلة في العديد من الأنشطة " فمن النساء كالطبيبة والحجامة، والسراقة، والدلالة، والماشطة، والنائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة، والمستخفة، والصناع في المغزل والنسيج" (3) فكن ربات عقل، وصلاح، وفضل، ومنهم انتقد الواقع الاجتماعي بتهميش النساء في الأندلس ولا يستفاد منهن إلا في الإنجاب، وخدمة البيوت ، وعده هدر طاقات إنسانية هائلة، بل إنهن عبء على الرجال والسبب في الفقر، وأعدادهن تفوق أعداد الرجال (4) .

أما الشاعرات الحرائر، فأثبتن قدرتهن على التعبير، وتميز شعرهن بالصدق، وقوة التأثير، وكان المجتمع الأندلسي يحرص " على تنشئتهن على مكارم الأخلاق منذ نعومة أظفارهن، حتى تنتقل إلى بيت زوجها وتكون معه في ودَّ وصفاء "(5).

والشاعرات الحرائر كنَّ أكثر حظاً، وأرفع مكانة، وأوفر إنتاجاً، وأظهرن حرية في التعبير عن مشاعرهن، فهن لا يتقيدن بأية عوائق، في إظهار مشاعر الحـب، ولم يكنَّ حبيسات الـــعادات والتقاليد، ولهن حضور مميز، ورأي بعضهم " إن المـــرأة الأندلسية الحـــرة لعبت في الأدب الأندلسي دوراً يشبه من بعض الوجوه دور المرأة في الأدب الفرنسي أثناء القرنين السابع والثامن عشر" (6) وشاركت في صناعة المشهد الثقافي.

والمجتمع الأندلسي متفتحٌ على ثقافات متعددة، ومتنوعة، وكنَّ صاحبات صالونات أدبية، يجتمع فيها المثقفون، والشعراء، فهي بمثابة منابر أدبية فكرية، ورمز للرقي الحضاري، وأتاحت لهن الحرية الاجتماعية، والانفتاح الثقافي، أن يصبحن شاعرات، وأديبات، ومعلمات، وملهمات، ومبدعات في بيئة تقدر العلم والمعرفة.

فشعر الحرائر اللواتي أبدعن في قول الشعر، والتعبير عن مشاعرهن باختلاف طبقاتهن الاجتماعية التي تنتمي إليها الشاعرات، ارتأيت تقسيم الشاعرات حسب طبقات مجتمعهم كالآتي:

أولاً- الطبقة الارستقراطية:

برزت المرأة الأندلسية في مجال الأدب بشكل كبير، فكان جمال البيئة الأندلسية وطبيعتها الساحرة، وروعة عمرانها انتعاش للحياة الأدبية، وانتشت وتألقت بين ثناياها الآداب والفنون، وحلق خيال الشاعرات، واتحفونا ببدائع شعرهن ووجدت الشاعرات

مجالاً للخيال، وللتعبير عمّا يخالج أنفسهن بصراحة، وجرأة غير مسبوقة، بل وصل الحد إلى التهتك والمجاهرات باللذات، ومن بينهن في مدينة قرطبة، برزت ولادة ابنة الخليفة المستكفي، فاقترن اسمها بالوزير ابن زيدون، وصفتها المصادر الأدبية بأنها شاعرة، تميزت بالفصاحة، وكانت وحيدة زمانها،" كان مجلسها في قرطبة منتدى الأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرَّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكُتّاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب ... وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها ، ومجاهراتها بلذاتها "(7) ، عبرت عن نفسها بصراحة غير معهودة ، وبصورة شعرية، وحسية مفرطة، أظهرت فيها مفاتنها، وجمال ورشاقة جسدها، فكتبت بالذهب على طرازها الأيمن :(8)

أنا والله أصـــلحُ للمـــعالي وأمشي مشيتي وأتيهُ تيـــها

وكتبت على الطراز الأيسر: (9)

وأُمْكِنُ عاشقي من صحن خدي وأُعطي قبلتي مَنْ يشتهيها

أسرفت شاعرتنا وجاهرت بمجونها، فكانت ملهمة عند الشعراء، ومن بينهم ابن زيدون الذي منحته الكثير من الحبِّ، ووهبته الوفير من الود، فقال فيها أجمل الغزل وأرقه (10) ، وكانت تهتم به، فهو من رواد صالونها الأدبي، ولم تستطع كتمان مشاعرها، وأحاسيسها وتعدت حواجز العرف والتقاليد، تبوح بمشاعرها وحبها بصراحة، واختلفت الصورة عند المرأة الأندلسية، فأصبحت مبدعة ،وأجادت بشعرها، فهي الشاعرة الولهانة وابن زيدون الملهم ، فتحدت وصرحت قائلةً:

ترقّبْ إذا جَنَّ الظّـلامُ زيـــارتي فَإني رأيتُ اللـيلَ أكتم للـسرِّ
وبي منك ما لو كان بالشمسِ لم تلحْ وبالبدرِ لم يطلعْ وبالنَّجمِ لم يسرِ (11)

تغزلت شاعرتنا بشعر مزج بين العفة والجرأة، وعبرت فيه عن شوقها، ورهافة حسها، وصدق مشاعرها، وجرأتها بخروجها عن المألوف، وشدة شوقها له، تفوق شوقه لها، وعبرت عن مشاعرها بحرية مدهشة، توحي بأنوثتها ورقتها (12) ، وفوقيتها في حبه، وعليه تلبية طلبها بعد تمنع منه، ومع مكانتها الاجتماعية في المجتمع الأندلسي، كانت تمتلك لساناً حاداً، وفكراً حاضراً في التهكم والسخرية ، وهجاؤها موجه لمن أساء إليها ، وخانها وخذلها ، " أما الألفاظ التي رددتها في أشعارها قد تكون نتيجة شَبُّع المرأة بألفاظ الرجال من خلال اختلاطها بهم

وانتصارهاعليهم في الآداب والشعر، جعلها تتلفظ بألفاظهم وتنطق بأفكارهم وترد عليهم بمستوى عقولهم " (13) .

فكان لشاعرتنا هجاء العاطفي، لم يكن لوماً فقط ، بل أظهرت احتقارها، وسخريتها اللاذعة وجمعت الأميرة بين الألفاظ السوقية النابية، ورمت بها مهجوها ابن زيدون، بألفاظ لا تنم عن الحياء وبعيدة عن الاحتشام ، ومن المفترض تهجو عدواً ، وليس حبيبها ونديمها ابن زيدون قائلةً:

ولُقِّبت بالمسدَّس وهو نعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارق (14)

أما في مدينة المرية، فنبغت شاعرات عديدات منهن، الشاعرة أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح، تنسب إلى أسرة عريقة في الأدب والشعر، وكان لها ثلاثة أخوة شعراء، إضافةً إلى أن أباها المعتصم شاعراً، وربما كانت البيئة التي عاشت فيها لها تأثير على صقل قدرتها الأدبية في نظم الشعر، فقد أبدعت في الغزل، وصدحت بأعلى صوتها، وتغنت بين ردهات القصر عن مكنونات نفسها، فهي صاحبة قلبٍ رقيقٍ مرهفٍ لا قدرة له على التحمل (15) ، فعشقت فتىً مشهور الجمال من دانية عرف بالسمار (16) ، وأنشدت غير مبالية بمن حولها وقالت :

يا معشرِ النَّاسِ ألا فاعجبوا ممّا جنته لوعة الحـــبّ
لولاه لم ينزلْ ببدرِ الدجـى من أُفقه العلويّ للتـربِ
حسبي بمن أهواهُ ، لو أنَّــهُ فارَقَني تابَعَهُ قـــلبي (17)

فكان غزلها رقيق جريء صادر من أنثى، أميرة سليلة الحسب والنسب، بارعة، بل عاشقة حساسة وليس غريباً أن يصدر من شاعرة أندلسية تمتعت بحرية، عبرت عن خلجات نفسها صراحةً، وطلبت من مستميعها أن يعجبوا مما جناه الحبَّ ، ومما أوقعه من حرقة ووجد ، وتغزلت معبرة عن لوعة الحبَّ وأشواقه ، فخرجت عن المألوف ، والشائع في ذلك الوقت ، وعبرت عن مشاعرها بكل جرأة ، رغم مخاطر التقاليد والصراع في قصر الحكم ، فرسمت أبياتاً شعرية بألفاظ صريحة ، وخيال رحب ، وهذا دليل على ما تمتعت به الشاعرة الأندلسية من حرية .

ولم تستطع شاعرتنا أم الكرم كتمان مشاعرها ، وخشيت الإفصاح ، فلجأت إلى إخفاء هواها، فألح عليه الشوق، وانكوت من ألم عشقها وحبها، فقالت (18) :

ألا ليتَ شعري هل سبيل لخلوةٍ يُنزْهُ عنـــها سمعُ كلّ مـراقب
ويا عجباً أشتاقُ خلوةً مَنْ غدا ومثواه ما بين الحشا والترائبِ (19)

طلبت شاعرتنا صراحة بخلوةٍ، مع حبيبها حتى تهدأ نارها، وتُطفيء لهيب شوقها، وتعبر عن رغبة عميقة في العزلة، والخلوة بعيدة عن أعين المراقبين " تصرح بحبها لفتاها الذي تمكن حبه منها، فلو فارقها حبيبها تابعه قلبها، لقد استولى حبه على نفسها، وتربع في أحشائها، وسكن مهجتها " (20)

ثانياً ـ طبقة الأغنياء والنبلاء:

برزت في طبقة الأغنياء والنبلاء شاعرتنا عائشة القرطبية، فهي من شاعرات الحرائر المثقفات ذات فصاحة وعلم ، وكانت لها مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي " ولم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة "(21) ،وعرفت بصلابتها، وجرأتها ، واعتدادها بنفسها، وقد ردت رداً قاسياً ، على رجل خطبها، فقالت :

أنا لبـــوةٌ لكنَّني لا أرتضي نفسي مناخاً طولَ دهري من أحدْ
ولو أنّني أختارُ ذلك لم أُجب كلباً وكم غَلّـقْتُ سمعي عن أسدْ (22)

تكلمت شاعرتنا بكبرياء وعلياء، فهي صاحبة نفس أبية، شبهت نفسها بأنثى الأسد " لبوة " قوية، وخطبها أحد الشعراء، وألح في خطبتها فرفضت " ولم تر أنه من الأكفاء لذواتِ الخدور أمثالها، فهي لبوةٌ، فكيف تختار كلباً ؟ "(23) .

ثالثاً ـ طبقة العلماء والمثقفين:

ظهرت في طبقة العلماء والمثقفين شاعرتنا حمدة بنت زياد المؤدب، فهي أديبة تجيد نظم الشعر، ومن اللواتي ساهمن في إثراء الحركة الأدبية الأندلسية، وكانت من أهل وادي آش، وأثبتت نجاعتها وامتلكت حساً شعرياً " نشأت في بيت علم وآداب، فقد كان أبوها زياد من وادي آش، يعرف بزياد المؤدب، وقد نـــشَّأ ابنتيه حمدونة – التي تسمى أيضاً ربما على سبيل التلميح حمدة – وأختها زينب على الأدب والعلم، فكانتا شاعرتين من شهيرات شاعرات الأندلس " (24) .

شكت شاعرتنا من الوشاة والواشين الذين فرقوا بينها وبين حبيبها، فجاء شعرها في ثلاث أبيات، صور لوعة الفراق، فهي صاحبة قلب دافيء ، مفعم بالصدق والود ، وقال عنها المقري في نفحه من عجيب شعرها قولها :(25)

ولما أبى الواشونَ إلاّ فـراقَنا وما لـهم عندي وعندكَ من ثـتارِ
وشنوا على أسماعنا كلَّ غارةٍ وقَلَّ حُـماتي عند ذاك وأنصارِي
غزوتهمُ من مقلتيك وأدمُـعي ومن نفسي بالسيفِ والَّسيلِ والنارِ(26)

كما عرف عن شعر الحرائر التغزل بالمؤنث (27)، وفُهِمَ كنوع من المثلية، وهو تعبير أدبي مجازي شعري، وليس توجه جنسي، فتغنت شاعرتنا حمدة بأبيات رائعة، وصفت فيها الطبيعة، ودمجت فيها جمال رفيقاتها كنّ يسبحن " وقد تأثرت أيما تأثر بجمال النهر المنساب، وروعة الطبيعة الخلابة، وفتنة صواحبها يتلاعبن فوق صفحة الماء بخفة ورشاقة، فوصفت مفاتنها في صورة بيانية بديعة " (28) .

تغنت شاعرتنا بصورة بصرية محسوسة، ورسمت لوحة فنية أبدعت فيها، واصفة الطبيعة، واستخدمت جمال الكلمة، وروعتها في فنيَّ البيان والبديع، تقول:

أباح الدمع أسراري بـوادي له للـــحسن آثـــار بوادي
فمن نـهرٍ يطوف بكل روضٍ ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظِّباءِ مهاةٌ إنسٍ لها لبي وقد ملكتْ فـؤادي
لها لحظٌ تُرقـــده لأمْـرٍ وذاكَ الأمْرُ يَمْنعُنِي رقـــادي
إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر في جنح الدآدي
كأن الصَّبح مات لهُ شقيق فمن حزنٍ تسربل بالـحدادِ (28)

فقصيدتها هذه مرآوية المشهد، جمعت فيها بين جمال الطبيعة بكلماتها الساحرة ، وصياغة لفظوية متقنة بارعة، تسحر قارئها أو سامعها، وعند إعادة قراءة أبياتها من جديد، تبهرك بجماليات أخرى.

أما شاعرتنا قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، فقد تميزت بالغزل الممزوج بين الحزن والشكوى، وعندما وقفت أمام المرآة، فرأت نفسها جميلة ذات قوام ساحر يانعة كزهرة بستان ندية، وبلغت سن التزويج، ولم يتقدم أحد لخطبتها فانفطر قلبها ، فترنمت بأبيات شعرية تتوجع وتتألم؛ لأن الشباب يمضي فصورت نفسها كحديقة نضجت ثمارها ، لكن لم يمد لها أحد يد العون، فقالت:

أَرى رَوْضَةً قد حان منها قِطَافُهَا ولسْتُ أرى جانٍ يمـدُّ لها يـدا
فـو أسفا يمضي الشَّـبابُ مُضيَّعا ويبقى الذي ما أن أُسميه مفردا(29)

ورسمت شاعرتنا صورة أخرى لحزنها ووحدتها، وتغزلت بالمؤنث، سواء في مخاطبة ذاتها، في البيتين السابقين ، أو مخاطبة أنثي أخرى تمثلت في ظبية ، وخاطبتها برقة ، ووصفت إحساسها وشعورها بالوحدة ، داعية لها بالصبر، فقالت :

ياظبية ترعى بروضٍ دائـــماً إنّي حكيتكِ في التَّوحّشِ والحورْ
أمسى كلانا مفردا عن صاحبٍ فلنصطبر أبـداً على حكم القدرْ(30)

وجمعت شاعرتنا حفصة الركونية بين الجمال والحب والمال (31) ، تميز شعرها بالجرأة، ولها قطع شعرية مجونية فاحشة، تتغزل بمعشوقها وتزوره في بيته، بل تصف تجربة رومانسية حية، عاشتها فصاغتها بلغة ناطقة، مزجت بين الجمال والحقيقة ، وبين الوجد والصدق ، مع قدرتها على التعبير بقوة وبلاغة، قائلةً :

تنائي على تلك الثنايا لأنّني أقول على علم وأنطق عن خُبْرِ
وأُنصفها لا أكذبُ الله إنّني رشفتُ بها ريقاً أرقَّ مِنَ الخمر(32)

كما لها أبيات شعرية في الغزل العفيف قالتها في حبيبها الذي غاب وابتعد عنها، ولكن حبّه يكمن في أحشائها ، فعبرت بأبيات ناعمة رقيقة دليل تعلقها بالرغم البعد ، فأرسلت أبياتاً تفوح منها رائحة الزهر، فقالت :

سلامٌ يـــفتّحُ في زهـــرهِ الـ كمامَ ويُنْطِقُ ورُقَ الغصونْ
على نـازح قد ثوَى في الحشا وإن كان تحرم منهُ الجفونْ
فلا تحسبوا البعد يُـــنسيكمُ فـذلك والله مـا لا يـكـونْ(33)

فكانت شاعرتنا لها أبيات جريئة، إذ طلبت خلوة مع حبيبها ، فراسلته بأعذب الكلمات، فهي صاحبة ثقافة عالية ، وبعد تمنع منه خيرته بين زيارتها أو زيارته ، أغرته بثغرها العذب الزلال ، وظل الذوائب ، والضم والقبل ... فهمست :

أزورك أم تزور فأنَّ قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفَرْعُ ذوَابيّ ظلٌّ ظليلُ
وقد أمَّلتُ أن تظمأ وتضحى إذا وافى إليك بي المقيل

فعجِّل بالجواب فما جميلٌ إباؤك عن بثينة يا جميلُ(34)

كما اندفعت شاعرتنا بمعاني غزلية جريئة، وهيامها بحب الوزير أبي جعفر، عبرت بمنتهى الجرأة والعذوبة عن غيرة حُبية فائقة ، شملت كل ما يمكن أن يشكل تهديداً ، على محبها من النظر، والمكان ، والزمان ، إذ تقول عندما تعصف بها الغيرة وتعبث بجوانحها :

أغار عليك من عيني رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنّي خبأتُك في عيوني إلى يوم القيامة ما كـــفاني (35)

رابعاً ـ الطبقة الشعبية :

برزت المرأة الأندلسية في مجالات الأدب ونظم الشعر، وامتلكت بعض النساء الأندلسيات المقومات الأساسية في النبوغ في هذا الحقل، ووصفت بعضهن بأن كان لهن اليد في البلاغة والفصاحة، فكانت شاعرات عديدات في مختلف المدن الأندلسية تميزن بقوة أشعارهن وجودتهن، ففي مدينة غرناطة برزت شاعرتنا نزهون بنت القلاعي، وكان لها حظ كبير في الحياة الأدبية، أخذت تباري الشعراء في أشعارهم وتضرب الأمثال، أعطت لنفسها الحرية الكاملة وتغزلت بالرجال من دون حشمة ، فهي " تراسل الرجال شعراً وتساجلهم نظماً وتهاجيهم قولاً فاحشاً في نطاق ما يسمى بالأدب المكشوف ، تسمع شعراً يقال فيهم يخدش حياء الحرائر، وينال من مشاعر العفة عندهن، وترد بشعر أكثر جرأة وأفحش معنى غير متحرجة من استعمال ألفاظ العورات استعمالاً ساقطاً " (36) ، ومن شعرها وصفت ليلة قضتها مع عشيقها، وغفلت عيون الرقباء ، فتحدثت عن العشق حديثاً مكشوفاً ، وأطلقت العنان بإظهار عواطفها، وأجادت التصوير، وإبراز الجمال بكل ألوانه وأشكاله، فقالت :

للهِ درُّ الليـــــالي مـــــا أحيـــسنـها وما أحـــيسن منها ليـلة الأحد
لو كنت حاضرنا فـيها وقد غـــفلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمرٍ بل ريم خازمةٍ في ساعدي أسد (37)

فمن ذكاء شاعرتنا وفطنتها استجابت لشعر الوزير أبي بكر، وكان مولع بها وتجيبه لكي يطمئن قلبه، بأنه الحبيب الأول ويتبوأ الصدارة (38)، ووارت عشقها وحبها له بأن استدعت شخصية أبي بكر الصديق مستغلة تشابه الاسمين، ولتبين المكانة التي

يحتلها في قلبها، وأن أهل الحق يحتلون المنزلة المتقدمة، ويعتبر استدعاؤها للشخصيات الإسلامية، أكبر دليل على ثقافتها ومنه قولها بعتاب، ورقة :

حللت أبا بكر محلاً منعـتُهُ سواكَ ، وهل غيرُ الحبيب له صدري
وإن كان لي كم حبيبٍ فإنما يُـقـدِّمُ أهـل الـحقّ حُـبَّ أبي بكـرِ(39)

ولشاعرتنا نزهون مشاغـــبات ومهاجـاة في المجالس، وردت على الشاعر أبي بكر المـخزومي أمـــام الحاضرين(40)، بشعر أكثر بداءة، وأصابته وبرهنت على قدرتها ، وتفوقها الأدبي ، واللغوي موظفة ثقافتها الدينية لخدمة نصوصها اللفظية، ومع بشاعة وبداءة ألفاظها التي تظل ملاصقة لمهجوها، وببراعة بلاغتها، وسرعة بديهتها الخارقة، فقصفته بقولها :

قلْ للوضـــيع مقـــالاً يُتـْلى إلى حينِ يحشرْ
من الـــمدوَّر أُنْشـــئـ تَ والـخرا منْهُ أعطرْ
حَيْـث البَداوةُ أمستْ في مَشْـــيها تَتَبَخْـتَـرْ
لـــذاك أمْسَيْت صَبّـاً بِـكـلّ شيء مُـــــدَوّرْ
خَـلِقْتَ أعمى ولـكِنْ تَـهـيـمُ في كلّ أَعْـوَرْ
جَـــازَيْتُ شِعْراً بِشِعْـرً فَـقُـلْ لعمري مَنَ أَشْعَرْ
إن كُنت في الخلق أنثى فإنّ شِـعْـرِي مُـذَكَّـرْ(41)

ولشاعرتنا نزهون حضور في المنتديات الأدبية، فكانت تناظر كبار الشعراء، وهذا دليل صريح على قدرة المرأة الأندلسية وجرأتها في مواجهة كبار الشعراء وحرية التعبير.

وكانت في مدينة قرطبة شاعرة من الحرائر تسمى مهجة بنت التياني، تأدبت على يد صاحبتها ولادة، فتهافتت على الملذات تهافتاً سافراً، ودفعها إلى ذلك جمال روحها وظرافتها، وسرعة بديهتها فهي صاحبة لسان فصيح وسخرية لاذعة، ومحط إعجاب في المجالس الأدبية ، أما شعرها كان خليعاً فاحشاً، هجت ولادة بدهاء لغوي، وجرأ ة مستوحاة من قصة السيدة مريم العذراء ،التي حفها القرآن الكريم بقدسية، لتنال من غريمتها، قائلةً: (42).

ولادةٌ قد صـــرت ولادةً من غيرِ بعل فُضِحَ الكاتمُ
حـَكـَتْ لنا مَريَـم لكنّهُ نخـلةٌ هـــذي ذكرٌ قائمُ (43)

ولم تكتفِ شاعرتنا بهذا، بل هجت رجلاً كان يهيم بها، فأهدى لها خوخاً جميل المنظر، (44) فهجته ببيتين شعريين، لا يسمح المقام بذكرهما.

أما الشاعرة زينب المرية، فهي من الحرائر، توجعت من عشقها ومما تعانيه من فراق الأحبة، وأعلنت شكواها والألم يفطر قلبها ، فأبدعت بأبيات شعرية تفيض " بالمشاعر الأنثوية المتدفقة ، والأحاسيس الرقيقة العذبة ، بأسلوب سلس فيه من الرقة والتمكن ما يأخذ الالباب "(45) وأعلنت شكواها ووجدها لحبيبها ، وحزنها على فراقه ، وتنادي والألم يقطع شراينها ، وتتوسل للراكب الغادي المسافر أن يبلغ تحياتها للحبيب، فقالت :

يا أيـّها الراكبُ الغـــادِي لطيَّته ... عَرِّجْ أُنبِّئـك عن بعضِ الذي أجدُ
ما عالج النَّاسُ من وجد تضمنُّهم ... إلا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حَسبي رضـــاهُ وأني في مسرَّتهِ ... ووده آخـــر الأيـــام أجـــتهِـدُ (46)

ونستشف من ذلك اهتمام الأندلسيين بمجالس العلماء والأدباء، وتميزوا بحبهم للعلم والمعرفة، وهذا انعكس على المرأة الأندلسية، وتظهر الشواهد التاريخية حضور المرأة في المجالس العلمية، وسفرها من بلد إلى آخر لطلب العلم والأدب، مما مكنها من الوصول إلى أعلى المراتب، شاعرة، وأديبة، وشيخة، ومربية.

المحور الثاني ـ شعر الشاعرات الجواري:

كان للمرأة الأندلسية رحلات علمية، تلقت من خلالها مختلف العلوم والفنون على يد كبار العلماء والأدباء، كما كان لهن دوراً كبيراً في إثراء الحياة العلمية والأدبية والفنية، يمثلن جزءاً كبيراً في الأدب الأندلسي، ولم يكنّ خادمات، أو مربيات، فقد أبـــدعن مع أنهن نشـأتهن في العبودية، وبعضهن استقدمن من المشرق، فعابدة المدنية " أم ولد حبيب بن الوليد المرواني ، المعروف بدحون وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة، حالكة اللون ، غير أنها تروي عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة، حتى قال بعض الحفاظ : إنها تروي عشرة آلاف "(45) ، مع كونهن من طبقة الإماء والجواري، لعبن دوراً مهماً في حضارة الأندلس وتجاوز تأثيرهن الحدود الشخصية إلى مجالات ثقافية، واجتماعية، وسياسية، وحرصهن على التعليم داخل القصور، ومنهن فضل حاذقة بالغناء وصديقتها علم، وصواحب غيرهن تنسب إليـــهن دار المدنيات، وكانت لهن حظوة عند أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل صاحب الأندلس(47) ، وقلم هي " أندلسية الأصل رومية من سبي البشكنس ، وحملت صبية إلى المشرق ، فوقعت بمدينة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتعلمت هنالك

الغناء فحذقته ، وكانت أديـبة ذاكرة حسنة الخط ، راوية للشعر، حـافظة للأخبار، عالـمة بضروب الآداب "(48) ، ولم يبخل السادة في تعليم وتثقيف جواريهم ، مع امتلاكهن قدر كبير من الثقافة ، وايفادهن إلى خارج بلاد الأندلس، فحفزهم السادة على المضي قدماً للوصول إلى أعلى وأرقى المراتب من العلم والثقافة ، حتى يتم تهيأتهن للمجالس في المجتمع الارستقراطي ، بالإضافة لمهام أخرى (49) ، وتميزن في الشعر ليحظين بقيمة كبيرة عند أسيادهن، ومحاولة منهن لإقهار عبوديتهن، بإبراز حضورهن، واستفدن من الظروف المحيطة بهن، فأحـطن بمعلمين أكفاء ، إضافةً إلى مواهبهن الأنثوية وتحقيق ذاتهن الملهمة ، ورغبتهن المتألقة " فإغراء هؤلاء الرجال لم يكن رهيناً بالنظرات الفاتنة فحسب، بل كان من اللازم انتزاع إعجابهم في المجالات التي كانت تبهرهم ، كعلم الفلك والرياضيات والفقه والتاريخ إضافة إلى الشعر والغناء "(50) .

كما تجسدت حرية الجواري في مظاهر الحياة المختلفة، من اللباس وارتياد الأسواق وشـــاركن الرجال في مجالس الشراب، والغناء، ونظمن الشعر، ألفن الكتب ، ونالت المرأة بصفة عامة حظاً وافراً من التعليم وللجواري الحظ الأكبر " وزادت العناية بتهذيبهن ، وثقافتهن فكن يدرسن بجوار الغناء والموسيقى ، علوم اللغة ، ثم يزدن على هذا دراسة الطب وعلم التشريح وعلم الطبيعة "(51)

وأثبتت الجواري في العصر الأندلسي أن الموهبة تتجاوز الحواجز الطبقية، والابداع لا يعرف القيد ، قدمن نتاجاً شعرياً وأدبياً مهماً، كان كفيل بأن يغني التراث الأندلسي والعربي، ويغيرن نظرة المجتمع نحو المرأة المثقفة والشاعرة ، رغم كونهن من طبقة مستضعفة، أما عن تقسيم الاجتماعي، فكان تصنيفهن بحسب أدوارهن ومهارتهن كالآتي:

أولاً- جواري الغناء والطرب (القينات):

اقبلت المرأة الأندلسية على دراسة مختلف العلوم والفنون، فكانت الجارية قمر..من الشاعرات اللواتي برزن بطبيعتها الأنثوية الراقية ، جمعت بين الفن والذوق المشرقي، ورهافة وجمال الحس الأندلسي، ورسمت صورة رائعة لمدينتها بغداد، تصف جمال الطبيعة، والأشخاص، فالشاعرة تحن وتشتاق، وتندب الفقد والغربة ، مستدعية جمال الطبيعة " والساحرات من الفتيات العراقيات، المتبخترات في رفوف العيش البهي، المتحليات بأخلاق جد طيبة " ، فقالت: (52)

آهـاً على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقـــــها

ومجالها عندّ الفرات بأوجه تبـــدو أهلّتُها على أطـــواقها
متبخترات في النَّــعيم كأنَّما خُلق الهوى العُذْريّ من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأيُّ محاسن في الدهر تُشرق من سنا إشراقها (53)

عرفت الشاعرة قمر بمكانتها العالية بين جواري قصر سيدها، وحين تعرضت للسخرية من بعض الجواري اللواتي يشعرن بالغيرة منها، لقنتهن درساً في الأخلاق وانتصرت لذاتها وكيانها عليهن، ودافعت عن نفسها بقوة، وأفهمتهن " أن العلم هو الجَّنة الحقيقية، وأن الحياة في النـَّار خيرٌ من الحياة مع الجاهلة "، قائلةً: (54)

قـالو أتَتْ قَـــمـــرٌفي زيّ أطْـــمَارِ مِنْ بَعْـدِما هَتَكتْ قَلْباً بِأَشْفَـــارِ
تُمسْي على وحَـــلٍ تغدو على سُبُلٍ تَشُقُّ أمصار أرضٍ بعـد أمْصَارِ
لا حُـــرّةٌ هَيَ مِنْ احرارِ مَوْضِعِها وَلاَ لَهَا غَيرُ تَرْسِـــيلٍ وَأَشْعـــار
لَوْ يَعْقِلُون لَمَـا عَابُوا غَـرِيبتهمْ لله مِـــنْ أَمَـةٍ تُزْرِي بِأحـــرارِ
ما لابْنِ آدَمَ فَـــخْرٌ غَـيـرَ هِمِـتِهِ بَعْدَ الدِيَـــانَةِ وَالإخلاصِ للبَاري
دَعْنِي من الجهْلِ لا أرضَىَ بِصاحِبِهِ لا يَخْلُصُ الجَهْل من سبٍّ ومن عارِ
لَـوْ لَـمْ تَكُنْ جَـنّـَـةٌ إلاَّ لِجَاهلـــةٍ رَضِيتُ من حُكمِ رَبّ النَّاسِ بالنَّـــارِ(55)

وأما عن شاعرتنا متعة جارية زرياب، فهي ذات مقام رفيع عنده ، ومغنية وشاعرة تغني بصوت عذب ، ومن الشاعرات اللواتي كان لهن أثر في مجالس الأمراء والحكام ، وأبدت مشاعر الود والعشق تجاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ولما فطنت لإعجابه بها،أخفى مشاعره، تكتماً وتستراً،(56) ، ولم تحتمل الصمت فعبرت بمقطوعات عن مشاعر الحب واللوعة ، وخلعت حياءها وحشمتها ، وغردت بألفاظ ناعمة رقيقة وغنت بصوت شجي، قائلةً :

يا من يُغَطِّي هَواهُ من ذا يُغَـــطّي النهارا ؟
قد كنتُ أملكُ قلبِي حتى عَلِـقْتُ فطـــارا
يا ويلتـا أتـــــراهُ لي كان ، أو مستعارا
يا بأبي قُـــرَشيٌّ خلعتُ فيه العِـــذارا (57)

"فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه فحظيت عنده "(58)

كما نجد شاعرتنا أنس القوب جريئة في التعبير عن خلجات نفسها ، رغم ما كانت تعانيه من عبودية ولم يفقدها الاسترقاق القدرة على التعبير عن رغبتها الذاتية، واقبالها على متع الحياة، إلا إن ذلك كان بإرادتها واختيارها لان حبها حقيقي، فغردت أنشدت بأنها لا تخاف الموت، بل تتلذ من هذا العذاب للوصول لقلب المحبوب ، فغنت، قائلةً :

قدم اللّيْلُ عند سَيْرِ النَّهارِ ... وَبَدا البـــدرُ مثل نصف سوارٍ
فكأنَّ النَّهار صَفْحة خـدً ... وكأنَّ الظَّـــلام خَـطّ عِـــذارِ
وكَأنَّ الكؤوس جامدُ ماءً ... وكـــأنَّ الـمدام ذائبُ نـــــارِ
نظري قد جنى عليَّ ذنوباً ... كيف مما جنته عيني اعتذاري ؟
يا لقومي تعَجّبوا من غزالٍ ... جـــائر في محبّي وهو جـاري
ليت لو كان لي إليه سبيلٌ ... فأقضّي من حبّـه أوطـــــاري (59)

واعتدرت شاعرتنا أنس القلوب لسيدها وهي باكية ودمعها كأنه درر تتناثر من عقد، أو طلٌ تساقط من ورد وأنشدت تقول :

أذْنَبْتُ ذَنباً عظيماً ... فكيف منه اعتداري ؟
والله قـدَّرَ هـــذا ... ولمْ يَـكـُنْ باختياري
والعَفْوُ أحسن شَيء ... يكون عِنْدَ اقْتِدَارِي (60)

فشاعراتنا تلقين تعليماً راقياً في أكاديميات للموسيقى والغناء في قرطبة، والتي يتم فيها إعدادهن وبيعهن بأثمان عالية، حتى يصبحن مؤنسات في المجالس يبهجن الأمراء والنخب، ويساهمن في نشر الذوق والثقافة، مع إنهن من بيئات مختلفة (61) ، وخاصة الجواري الجميلات يخترن منذ الصغر لتلقي تعليم مكثف، ومن بدائعهن الإجازة الشعرية ، " أما الإجازة، فإنها بناء الشاعر بيتاً ، أو قسيماً يزيده على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة "(62) ، أي: ينظم الشاعر على شعر غيره، في معناه ما يكون به تمامه وكماله، يأتي الشاعر بشطر بيت ويجيز غيره لإكماله، وقد تكون الاجازة ببيت كامل .

كما شاع استخدامه في الأندلس عند الجواري المثقفات، ومتقنات للشعر والموسيقى، وقدرتهن على الرد الفوري، وابهار مجالس الأمراء والخلفاء، أي: شعر تحت الأمر، وهذا ما حدث للشاعرة

غاية المني، فهي جارية المعتصم بن صمادح، قدمت إليه فاختبرها، فقال لها : ما اسمـك ؟ فقالت غايـــة المني، فقال لها : أجيزي : (63)

اسْألُوا غَايـــةَ المُـنَى فقالت: من كسا جسمي الضنى

أراني مولـــــــــهاً ســـــيقول الهوى أنـــا(64)

فبردها هذا أثبتت جدراتها، وجرأتها، وبمجرد قولها (الهوى أنا) أرادت امتلاك قلب سيدها ، وللتنفيس على عبوديتها، والتقة بجمالها، وإن عدَّ هذا اختباراً فنياً حيًّا، لقدرتها على الإبداع ، فأشترها ابن صمادح، لما لمس فيها من ذكاء وقول الشعر وحسن المحاضرة (65).

أما عن جارية المعتمد بن عباد، اعتماد الرميكية، وصفت بأنها أديبة، وشاعرة، وكانت تباري الشعراء في شعرهم، اشتهرت بقدرتها الأدبية في تنظيم الشعر، واستطاعت اكمال بيت من الشعر للمعتمد، فكان سبب إعجاب المعتمد بها، فقد جسدت الإجازة الشعرية، عندما ركب المعتمد النهر، ومعه ابن عمار وزيره ، وزردت الريح النهر ، فقال ابن عباد لابن عمار، أجز: (66)

صنع الريح من الماء زرّد

فأطال ابن عمار الفكرة ، فقالت جارية :

أيّ درعٍ لقـتالٍ لو جَـمَـد (67)

فردت شاعرتنا اعتماد بدهائها، وببديهتها راغبة في الظهور، وشرف المنافسة مع المعتمد ولفت الانتباه، فسألها المعتمد: أ ذات زوج ؟ فقالت: لا ، فتزوجها وأصبحت أم أولاده (68).

وها هي شاعرتنا العبادية جارية المعتضد، سجلت مقطوعات شعرية، أو ما يعرف بالإجازة الشعرية، وما حدث بينها وبين سيدها المعتضد بن عباد حينما صورها وقال:

تَنامُ ومُـــدْنَـفُـها يـسهرُ وتـــصبرُ عنه ولا يـــصْبرُ(69)

فردت عليه ببديهتها ، وجرأتها وقوة شخصيتها ، وسرعة استجابتها الشعرية ، غير مهتمة بالفروق الاجتماعية ، وبحضورها الإبداعي ، قالت :

لـئـن دام هذا وهذا له سيـهـلك وَجْـداً ولا يـشعرُ(70)

ونستشف من ذلك بأن حضور المرأة الأندلسية المجالس العلمية والمنتديات الأدبية استطاع أن يتخطى كل العوائق الطبقية، ويجمع بين المرأة الأندلسية وفق الروابط الثقافية، فقد نالت قسطاً واسعاً من التعليم سواء أكانت من الحرائر أم من الجواري، فحضورهن كان منتشراً انتشاراً واسعاً في الأندلس.

المحور الثالث ـ الموازنة بين شعر الشاعرات (الحرائر والجواري):

ينتمين الشاعرات الحرائر إلى طبقات اجتماعية مختلفة الترائب، وينظر إليهن كمثقفات، شاعرات ومؤثرات في الأدب؛ لتلقيهن تعليماً جيداً ولهن منتديات أدبية، وبرزن في المحافل الأدبية، وظهورهن محدود بما يتناسب مع العادات والتقاليد إلا بعضهن أمثال: ولادة ، ونزهون .

أما الشاعرات الجواري، فمملوكات وسبايا بعضهن وافدات من المشرق الإسلامي، والأخريات أعجميات، وتقيدن بخدمة أسيادهن، وتلقين تعليما عالياً، وبرعن في الشعر، والفقه ، واللغة ، عملن في بلاطات الخلفاء والأمراء ، مؤنسات وشاعرات وعازفات ، وكنَّ من مظاهر الأبهة التي حفلت بها قصورهم ، لعبن دوراً مهماً في الحياة الترفيهية ، والثقافية وحظين بتقدير واسع ، وتمكنّ من تجاوز القيود الطبقية ، وتمتعن بشخصية راقية مستقلة ، وتعليمهن أشعرهنَّ بقيمتهنَّ ، وخفف من ألمهن بأنهن بضاعة تشترى وتباع ، ومنهن اشتهرن شهرة واسعة تفوق شهرة الرجال.

فكانت الجواري أكثر حظا في التعليم والثقافة، بل أكثر حرية من الحرة في التنقل ، ومسموح لها بمخالطة ومنادمة مجالس الرجال .

ظهر فن الغزل عند الحرائر أكثر جرأة يلجأن إلى التصريح من دون التلميح ، ويتصف بالشوق والحرمان مثل: حفصة، واللوعة، والوجد، ونزهون ، بالإضافة التهكم ، ونقدهم للرجال ، وكرامة وصراع مثل: ولادة ، وأم الكرم ومطالبتها علنا بخلوة مع حبيبها.

أما الغزل عند الجواري، فكان يستخدم للغناء لإثبات الوجود مثل: قمر، ومتعة ، وأنس القلوب وكنَّ أكثر حرية في التعبير ، وذلك ضمن قوالب شعرية راقية مثل: الغزل العذري ، ولم يكن بالفحش والمجون ، وعرفن بالرقة والعذوبة ، والقوة والذكاء وألفاظهن ناعمة رقيقة تدل على أنوثتهن ، ويستخدم لخدمة السادة ، ولهن أغراض شعرية أخرى كالشكوى ، والحنين ، ومع استرقاقهن لم يفقدن القدرة على التعبير عن مشاعرهن ، متساوية مع الحرة .

واستخدم الغزل بالمؤنث بشكل رمزي عند بعض الشاعرات مثل: ولادة ، ونزهون ، وقسمونة حيث تحاكي ذاتها ، وأُعتبر غزلاً بالمؤنث، كما تتغزل حمدة تتغزل بصاحبتها، وهذا النوع من الغزل لم يعرف عند الجواري.

أما فن الهجاء عند الحرائر، فعكس مدى استقلاليتهن ومدى جرأتهن ، فيه تهكم وسخرية ، مثل: هجاء نزهون للفقهاء ، أو دفاع عن الكرامة كهجاء ولادة ، أوعلى نمط السخرية كهجاء مهجة ، متأثرة بصديقتها ولادة ، وكذلك حفصة يحمل في طياته السخرية والتهكم، وعائشة القرطبية هجاؤه غاضب كأنها تتأر لكرامتها، ولم يكن موجود هذا النوع من الهجاء عند الجواري.

وامتازت الاجازة الشعرية أو المساجلات بالجرأة، وأكثر المساجلات عند الحرائر بالفطرة ، ومن أهمها ما دار بين ولادة وابن زيدون، ونزهون القلاعي، وأبي بكر الكتندي، والشاعرة قسمونة ووالدها إسماعيل اليهودي، وحفصة الركونية وحبيبها أبي جعفر بن سعيد.

أما الجواري، فكن مدربات على الشعر جزءاً من دورهن لتسلية السادة، مثل: الشاعرة غاية المنى، قَدِمَتْ إلى المعتصم بن صمادح، ولمس فيها الذكاء، وقول الشعر وحسن المحاضرة، واعتماد الرميكية جارية المعتمد بن عباد، اشتهرت بقدرتها الأدبية في تنظيم الشعر، وهذا يتطلب اتقان فنون البلاغة، والعروض، وإظهار قوة تعبيرية متميزة لنيل الرضا، وتقدير علماء الأدب والنقاد ، ويتطلب حضور المجالس الثقافية ، والنقاشات الأدبية ، وإذا أبهرت المجلس بجوابها وردها يقال إنها : أجيزت ، أي بمتابة امتحان سريع ، وتعامل باحترام ، وبذلك تتبوأ مكانة بين الأدباء .

الخاتمة :

وبعد تلك الرحلة المتعبة والممتعة في الوقت نفسه مع شاعرات الأندلس، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة بعد دراسةٍ وتحليلٍ، فهي كالآتي:

1- ساهمت المرأة الأندلسية في إثراء الحركة الأدبية، وكان لها حضور مميز في مجالس الأدباء والشعراء، وفاقت أختها المشرقية في مختلف العلوم والفنون.
2- عرفت المرأة الأندلسية بثقافتها الدينية، وتجلى هذا في أشعارها من خلال اقتباساتها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وقصص القرآن، بل واستفادت من المفاهيم الدينية، والشخصيات الدينية، لخدمة أشعارها.
3- اتسمت الشاعرات الأندلسيات بالفصاحة والبلاغة، وكأن الشعر غريزة في نفوسهن، مع اختلاف أجناسهن، وألسنتهن.

4- تعكس أشعار المرأة الأندلسية على قوة شخصيتها من خلال أشعارهن التي تظهر فيها روح المبادرة، فهن لا يظهرن أي تخوف، أو تردد، بل يملكن حرية في التعبير، مع عاطفة جريئة، يكشفن بصراحة عن عشقهن .
5- ألهمت المرأة الأندلسية الشعراء في شعرهم ، وملكت روح التحدي والمساواة ، فأصبحت مبدعة وساهمت في إثراء الادب الأندلسي .
6- أبدعت بعض الشاعرات فن الهجاء، لما فيه من براعة لغوية ، وقدرة على الرد القاسي ، مع سبك شعري، وخاصة عند الشاعرات الحرائر.
7- امتازت الاجازة الشعرية بالجرأة، وخاصة عند الشاعرات الجواري ، رغبة منهن لإظهار الذات وللتنفيس عن حالة العبودية، وإظهار حسنهن ومفاتنهن، وجمالهن، مع حرصهن على الظهور أمام السادة والأمراء في المجالس الأدبية.

الهوامش:

1- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط (9)، ص 117.
2- ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط (8)، 1996م، ص 25.
3- طوق الحمامة في الإلفة والالف، ابن حزم الأندلسي، تح: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ، مصر، ط (9)، لا ت ، ص58.
4- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تر: سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ط (2)، 1999م ، ج2/ ص1001.
5- صورة المرأة في الأدب الأندلسي، في عصر الطوائف والمرابطين، محمد صبحي ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ط (2)،2005م ، ص27.
6- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف ، دار المعارف، مصر، الطبعة التاسعة ، 1943م ، ص 440.

7- الذخيرة في محـاسن أهل الجـزيرة ، أبي حسن بن علي بن بسـام الشنتريني ، تح : .إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، لا ط ، 1975م ، ق/ مج / ص428.
8- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الشيخ أحمد المقري التلمساني ،تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، مج 4/ ص205.
9- المصدر نفسه.
10- ينظر: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه، ص 181.
11- نفح الطيب ج4/ ص 206.
12- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، مج 2/ 995.
13- المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف ، سلمى سليمان علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط (1) ، 2006م ، ص308.
14- نفح الطيب ، ج4/ 205.
15- ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 148.
16- ينظر: نفح الطيب ، ج4/ 170.
17- المصدر نفسه.
18- ينظر: صورة المرأة في الأدب الأندلسي، ص 187.
19- المغرب في حلي المغرب ، عبد الملك ابن سعيد، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1964م ، ج2/ ص 203.
20- الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية ، سعد بوفلاقة ، دار الفكر ، للطباعة والنشر ، بيروت، ط (1)، 2003م ، ص 80.
21- نفح الطيب ، ج4/ 290.
22- المصدر نفسه.
23- نساء من الأندلس ، أحمد خليل جمعة ، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت ، ط (1)، 2001م ، ص 302.
24- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص 150.
25- ينظر: نفح الطيب ، ج4/ 287.
26- المصدر نفسه .
27- ينظر: الشعر النسوي الاندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ص206.
28- نفح الطيب ،ج4/ 288.
29- المصدر نفسه ، ج 3/ 530.
30- المصدر نفسه.
31- ينظر: نساء من الأندلس ، ص191.
32- نفح الطيب ، ج 4/ 173.
33- المصدر نفسه ، ج 4/ 176،175.
34- المصدر نفسه، ج4/ 178.
35- المصدر نفسه ،ج 4/ 176.
36- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص 156.
37- نفح الطيب ج4/ 298.
38- ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص 158.
39- نفح الطيب ج4/ 295.
40- ينظر: الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية ، ص 116.

41- نفح الطيب ج1/ 192، 193.
42- ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص :214.
43- نفح الطيب ج4/ 293.
44- ينظر: نساء من الأندلس ، ص :376.
45- نفح الطيب ج3/ 139، 140.
46- المصدر نفسه، ج4/ 286 .
47- ينظر: نفس المصدر ج3/ 140
48- المصدر نفسه.
49- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، مج 2/ 980.
50- النساء الحاكمات من الجواري والملكات، يحيى وهيب الجبوري، دار مجدولاي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط (1)، 2011، ص 10.
51- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف ، سعد إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، لا ط ، لا ت ، ص 58.
52- الشعر النسوي في الأندلس ، محمد المنتصر الريسوني ، منشورات مكتبة دار الحياة ،بيروت – لبنان ، لا ط ، لا ت ، ص 52.
53- نفح الطيب ، ج 3/ 141.
54- نساء من الأندلس ، ص 357.
55- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، تح : ج . س . كولان – أ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط (5)، 1998م ، ج 2/ 128 ، 129 .
56- ينظر: معجم شاعرات الأندلس ، تركي العزوي ، دار النوادر ، سورية ،ط (1)، 2012م ، ص 34 .
57- نفح الطيب ج3 / 131 .
58- المصدر نفسه .
59- المصدر نفسه، ج 1/ 617.
60- المصدر نفسه ، ص618.
61- ينظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، هنري بيرس ، تر: الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة، ط (1)، 1988م، ص 336.
62- العُمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تح : محمد مُحي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لا ط ، لا ت ، ج 2/ 89.
63- ينظر: نفح الطيب ج4/ 286.
64- المصدر نفسه.
65- ينظر: المصدر نفسه .
66- المصدر نفسه ، ج4/ 211
67- المصدر نفسه.
68- ينظر: المصدر نفسه.
69- المصدر نفسه، ج4/ 283.
70- المصدر نفسه